مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255/E-ISSN 2588-2414
المجلد9 العدد1 – مارس 2022

OEB Univ. Publish. Co.

النماذج المفاهيمية و دورها في بناء موضوع العلم الاجتماعي

Conceptual Model And Their Role In The Construction Of The Subjecte Of Social Sciences

بوضرسة زهير[1*]، شيهب عادل[2]
[1] جامعة أم البواقي، boudersa.zoheir@univ-oeb.dz
جامعة جيجل، chiheb_adel@yahoo.fr

تاريخ التسليم:2022/02/24، تاريخ المراجعة: 2022/03/19، تاريخ القبول: 2022/03/30

الملخص

في هذه المقالة نحاول إلقاء الضوء على النموذج المفاهيمي باعتباره أحد آليات العلم الاجتماعي المستعملة في مقاربته لجوانب من الواقع الاجتماعي بغية تفسيرها ومحاولة فهمها.فالواقع الأجتماعي لا يقدم موضوعا معطى جاهز للدراسة و لا يعدو ما هو موجود غير كم هائل من الجزئيات المحسوسة تقدم تصورا زائفا للواقع الاجتماعي ،فالحقيقة التي يسعى اليها الباحث قد تكون مختبئة خلف ذلك الواقع الزائف ، ما يدفع الباحث لإعادة بنائه وفق تركيبة ذهنية مجردة تسمى "بالنموذج المفاهيمي" و الذي بواسطته يمكن للباحث النفاذ الى ما هو جوهري في ذلك الواقع الاجتماعي مستخلصا منه ما هو كلي و ضروري مشكلا بذلك موضوع العلم الاجتماعي

الكلمات المفتاحية: النموذج .المفهوم .العلم الاجتماعي .الواقع. الموضوع.

Abstract

In this article, we try to shed light on the conceptual model as one of the social science mechanisms used in its approach to aspects of social reality in order to explain and attempt to understand them. Social reality does not present a given subject ready for study, and it is other than a huge amount of perceptible molecules which present a false perception of social reality. The truth sought by the researcher can be hidden behind this false reality, which prompts the researcher to reconstruct it according to an abstract mental structure called a « conceptual model » through which the researcher can access the essentials of this social reality, by extracting from it what is holistic and necessary. Thus forming the subject of social sciences

Keywords : The Model ; The Concept ; The social science ; The reality ; Subject.

*بوضرسة زهير boudersa.zoheir@univ-oeb.dz

1 . مقدمة

إن المفاهيم و النظريات التي بها يتم فهم الواقع الإنساني ما هي إلا صورة متقدمة من تطور النماذج المفاهيمية التي قامت عليها .فالنموذج المفاهيمي هو أداة منهجية و نظرية تمكن العلم الاجتماعي من مقاربة الواقع الإنساني بغية تفسيره و فهمه ، بيد ان بيان دور النموذج المفاهيمي في بناء موضوع العلم الاجتماعي يستدعي من الناحية المنهجية أن نبدأ من مفهوم العلم نفسه.

2. مفهوم العلم

العلم من حيث المفهوم مدخل تتعامل فيه الذات العارفة مع الواقع الخارجي عن طريق صياغة قضايا تحدد الارتباطات الممكنة بين جملة من الوقائع بهدف صياغة "قوانين حركة الواقع (الانتظامات و التكرارات)و ذلك بهدف فهم هذه الحركة و توجيهها –عبر وعي ضرورتها" (محمد احمد، 1983، الصفحات 103–86)

ومن حيث الأصطلاح هو "مدخل أو طريقة نستخدمها في التعامل مع العالم الواقعي ...اي ذلك العالم الذي يطرح نفسه أمام الخبرة الإنسانية و العلم على هذا النحو مدخل لا يهدف الى إكتشاف الحقيقة المطلقة ،إذ ليس ثمة شيئ مطلق في العلم ،...فكأن تنظيم المعرفة يشير الى ان الباحث العلمي قد يستخدم أسلوبا للتحليل مكنه من صياغة قضايا تحدد الارتباطات بين الوقائع " (علي محمد، 1982، صفحة 63)

و لكن غاية العلم لا تتوقف عند صياغة القوانين و تعميم نتائج التجارب في نظريات إنما تتعداها الى ضرورة العودة الى الواقع عبر الممارسة لاختبار صحة النظريات فأساس العلم الحديث لا يستند الى النظرية وحدها بقدر ما يستند الى الحركة الجدلية بين النظرية و الواقع و الوسيلة المنهجية الوحيدة التي بإمكانها توضيح المسالك الاستدلالية التي تربط النظرية بالواقع هو النموذج المفاهيمي

1.2. وظيفة العلم

ان العلم سيرورة تستولي من خلالها الذات العارفة على موضوع ما ينتمي للعالم الخارجي للكشف عن خصائصه الداخلية و الخارجية و تقع هذه السيرورة على مستويين الأول مستوى حسي و الثاني منطقي (عقلي) ،و عليه يمكن تلخيص السيرورة الاجمالية للمعرفة العلمية كما يلي :

–من الممارسة والتأمل الحسي المتوافق معها الى التفكير المجرد ثم الى الممارسة هذا هو الطريق الجدلي لمعرفة الحقيقة ولمعرفة العالم الموضوعي وهذا ما أشار اليه كانت بقوله "ان الادراكات الحسية بغير مدركات عقلية تكون عمياء والدركات العقلية بغير ادراكات حسية تكون فارغة " (ديوي، 2010، صفحة 42)

– فموضوع العلم لا تجده الذات العارفة جاهزا في الطبيعة (المجتمع) حتى نقتصر و نحصر وظيفة العلم في تصوير الواقع المحسوس بل تتعداه الى تحويليه .و من هنا تبرز الحاجة الى النموذج.

1.1.2 الفهم

لما كان الوجود الحسي له مضمونات تختلف عن مضمونات الوجود العقلي لدلك احتاجتا الى فعل ثالث وهو فعل الفهم التركيبي ليضمهما معا و حقيقة الأمر هي أن المواد الحسية و المواد العقلية قد نشأتا مرتبطين معا ارتباطا أدائيا على نحو يجعل الأولى تحدد المشكلة و تصفها في حين تقدم الثانية طريقة ممكنة لحلها (ديوي، 2010، صفحة 42). و النموذج المفاهيمي يمثل الوسيلة المنهجية التي تمكن العالم حسب مارشال والكر M.Walker من" إدراك المعاني و العلاقات غير المعروفة بعد تنظيم الوقائع في نسق مجرد أو مجموعة قوانين تجمع في كلماتها تلخيصا للعلاقات بين هذه الوقائع ..." (علي محمد، 1982، صفحة 63) و حسب Richard Braithwaite انتظام هذه العلاقات بين الوقائع يشكل القوانين التي " تغطي سلوك الأحداث التجريبية أو المواضيع التي تقع ضمن التساؤل العلمي ،و هي بذلك تمكننا من ربط معرفتنا بالأحداث المنفصلة المعروفة و إنشاء نبوءات موثوقة بالأحداث غير المعروفة " (ناشيماز و ناشيماز، 2004، صفحة 20) فعن طريق القوانين يمكننا التنبؤ بالوقائع .

2.1.2 التنبؤ

التنبؤ الصحيح بسيرورة الظاهرة يسبقه فهم و ادراك المعنى ،لذلك يستخدم العلماء كلمة (الفهم) بمعنى اصطلاحي محدد اذا تم التنبؤ بحادثة معينة عن طريق قانون ثبت صحته في التنبؤ بحوادث أخرى مماثلة (علي محمد، 1982، صفحة 64) ولكن التنبؤ على النحو الذي هو عليه في العلم الطبيعي يستحيل في العلم الاجتماعي لعدة عوامل منها عدم إمكانية حصر العوامل التي تتداخل في

الظاهرة الاجتماعية و عدم إمكانية عزلها و عدم إمكانية اختزال الواقع الاجتماعي في مختبرات تجريبية لذلك يلجأ العلم الاجتماعي الى النماذج المفاهيمية ،فالنماذج المفاهيمية هي من سيمكن العلم الاجتماعي من القيام بوظيفة التنبؤ " لكي يقوم المنهج العلمي بالتوقع في مجالات مختلفة ، فإنه يلجأ إلى النماذج النظرية (Paradigmes)" (آلان و برنارد، 2004، صفحة 34).

و إذا كانت دالة الفهم التنبؤ الصحيح بسيرورة الظواهر فإن وظيفة النموذج المفاهيمي هي في صلب وظيفة المنهج العلمي ذاته الذي "يسعى لتوفير نماذج للفهم " (آلان و برنارد، 2004، صفحة 34).

3 .مفهوم النموذج المفاهيمي

النموذج المفاهيمي هو أداة للتفكير يسمح بتكوين تصور عن بعض جوانب الواقع المراد دراستها انطلاقا من النظرية و من بعض مظاهر الواقع المفترض معرفتها .

من حيث الاصطلاح يعرف مدحت ابو النصر (ابو النصر، 2004، صفحة 141)النموذج المفاهيمي على انه :

-"تصور للطريقة التي يرتبط بها اثنين أو أكثر من المفاهيم"

-"بناء من العلاقات والعناصر، يوضح التفاعل بينهم ويمثل جزء من الواقع"

-"بناء مفاهيمي يبسط الأجزاء المعقدة من الواقع،و يحدد المكونات الرئيسية و يوضح العلاقات المتبادلة بين هذه المكونات "

-"هيكل يحتوي على مجموعة من المتغيرات بينها علاقة متبادلة لها تماثل مع المتغيرات و العلاقات القائمة في الحياة الواقعية ،و يهدف النموذج الى الإسترشادية به في الفهم و التفسير و التنبؤ"

-"اداة يسترشد بها الباحث في وصفه و تفسيره للواقع او للظاهرة المدروسة"

فالنموذج في العلوم الاجتماعية تجريد للواقع حيث ينظم رؤيتنا للواقع وذلك بعرض خصائصه الجوهرية (ناشيماز و ناشيماز، 2004، صفحة 56) كما هي أيضا أدوات للتفسير و التنبؤ ...فهي

تقارب الواقع بشكل كبير، لكن النماذج نفسها لن تكون الواقع (ناشيماز و ناشيماز، 2004، صفحة 58) و هناك نوعان أساسيان من النماذج المفاهيمية :

1.3 النماذج المفاهيمية الوظيفية

وهي أرقى أنواع النماذج و أكثرها تقدما نحو النظرية لكونها " تساعد المنظر في تعيين الأحوال المرتبطة بالأداء و التبادل الوظيفي بين المتغيرات الأمر الذي يساعد على عرض البناء النظري في شكله النهائي من حيث الصياغة " (شتا، 1993، صفحة 117) .

2.3-النماذج الإرشادية " Paradigme ".

فالنماذج الإرشادية تتحكم في العلم القياسي أي العلم الذي ألفه الباحثون وجرت العادة عليه ، بحيث يسترشد العالم بالنماذج الإرشادية و يسلم بصحتها مثل القيام بالتجارب و البحوث العلمية (صالح، 2007، صفحة 49) .

3.3 طبيعة النماذج

النماذج النظرية تتكون أساسا من المفاهيم ،و"الوظيفة الأساسية للمفهوم أنه يجرد الواقع تحت رمز معين ،و أعني بالتجريد أنه يفصل الظاهرة عن الارتباطات الأخرى التي لا يحتاجها العلم .اذ يقوم الباحث بتجريد الحقائق المناسبة من المركب الكلي للظاهرة .و يساعد المفهوم على تحديد المعطيات التي تتدرج تحته بحيث يساعد على ذلك التقليل من إمكانية تضمين اية بيانات امبريقية زائفة " (ليلة، دون تاريخ، صفحة 48).

يساعد المفهوم على :

-تحديد العلاقات بين المتغيرات في صورة متغيرات variables

-تحديد مناهج البحث الامبريقية لاختبار العلاقات الافتراضية بين المتغيرات و المؤشرات

-تحليل البيانات في ضوء الفروض

-تفسير البيانات في ضوء بناء النظرية الخاصة بالنموذج الاساسي و البديهيات و القضايا التقريرية و الفروض (جونز، الصفحات 14-13) .

في سياق المنهجية العلمية و المنظور النظري يكون النموذج رمزيا لأنه يمثل الظواهر بطريقة مجردة ... إن النموذج في معناه العام (مجسم تصميم) يشكل إعادة أنتاج لشئ ملموس ، بينما يشكل النموذج في معناه النظري من جهته تمثيلا لتفسير ظاهرة ما.

إن عرض هذا التمثيل بشكل بياني سيسمح برؤية العلاقات ، الإرتباطات أو الإعتراضات بين العناصر المكونة لظاهرة ما (آلان و برنارد، 2004، صفحة 163) .

فادا كان العلم يبدا بتشكيل المفاهيم بغرض وصف العالم التجريبي إلا أنه لا يتوقف عند هذه المرحلة بل يتقدم في اتجاه ربط هذه المفاهيم في أنظمة نظرية و هناك شروط أوردها تيماشيف Temacheff في بناء مثل هذه العلاقات:

1–ان تشكل هذه العلاقات الافتراضية من مفاهيم محددة

2–ان تسمح ببحثها ميدانيا

3–ان تفسح المجال للتوصل الى تعميمات " (عثمان، 2007، صفحة 21).

فعملية ربط المفاهيم هو من سيمكنها من التواصل الفعال في ما بينها مشكلة وحدات بنائية في النموذج المفاهيمي .

4.3 بناءالنموذج المفاهيمي بالأعتماد على المسلك الأستقرائي و المسلك الإستنباطي

النموذج المفاهيمي يوفر وسيلة لربط المفاهيم عن طريق الانتقال ذهابا و أيابا من المستوى العقلي (المنطقي) و ما يعبر عنه بالفكرة العامة المحدوسة أو ما يسمى بالقضية الكلية الى المستوى الحسي متمثلا في القضايا الجزئية بواسطة عملية الاشتقاق ،و بهذه العملية الجدلية تتمكن الذات العارفة من التفاعل مع معطيات الواقع .و في ظل هذا التفاعل بين الذات العارفة و معطيات الواقع ، تنسج مجموع المسالك الاستنباطية و الاستقرائية قضايا تشكل مجموعات من الوحدات البنائية تنتظم عبرها مشكلة النموذج المفاهيمي لموضوع العلم الاجتماعي .شريطة تحقيق الاتساق المنطقي بين مقدماته التي تأتي في أعلى مستوى و نتائجه في المستوى الأدنى .و هذا الاتساق هو من

سيمكن النموذج المفاهيمي من التفسير و التنبؤ بالوقائع. و بهذا لا تعود النظرية مستقلة عن الوقائع التي تفسرها .

4. العلم الاجتماعي.

إن العلم الإجتماعي ، يشير الى ذلك النظام الفكري المكون من (المفاهيم و الفروض و النظريات)التي تساعد على فهم الظاهرة الاجتماعية ،و تحديد مظاهر حدوثها ،و المظاهر التي تتحكم في هذه الحدوث. بما يجعله متسقا مع منطق المنظور العلمي شأنه في ذلك شأن العلم الطبيعي.

1.4 موضوع العلم الاجتماعي

ان الموضوع يعني حسب غراوتز(Madeleine Grawitz).."اكتشاف واقعات اجتماعية خلف اللغة المشتركة و المظاهر و داخل المجتمع الاجتماعي مرتبطة بنظام علاقات خاص بالقطاع المدروس" (غراوتز، 1993، صفحة 52) نظام العلاقات التي تشير اليه غراوتز هو ما يعبر عنه بيير بورديو (Pierre Bordieu) بالمجال الذي يفترض قطيعة مع التمثيل الواقعي و" قلبا لمجال الرؤية ...تلك الرؤية التي تكتفي بالأمور المرئية وحدها..." (بورديو، 2007، صفحة 21) فمن وجهة نظر بيير بورديو بنية العلاقات التي تشكل فضاء المجال هي التي تتحكم في الصورة التي يمكن لعلاقات التفاعل الظاهرية ان تتخذها.

و من هنا فصور التفاعل الظاهرية لا يمكن ان تشكل موضوع لعلم اجتماعي بمعزل عن بنية العلاقات الخفية التي نشأت منها ،و بناءا عليه فالموضوع في علم الاجتماع "يساوي إعادة توليد المحسوس في الفكر بشكل ملموس مفكر(Concret–pensé).و من هذا المنظار لا تمثل الموضوعات في العلم أكثر من مفاهيم و أفكار" (ابراهيم، 2010، صفحة 55)

و بشكل عام فبنية الموضوع في العلوم الاجتماعية تتشكل من المفاهيم و ابعاد المفاهيم و العلاقات و الروابط بين مفاهيم العلم الاجتماعي .و على هذا الأساس لا يوجد في الواقع الإنساني المحسوس موضوع جاهز للدراسة ،و ما هو موجود خضم هائل من التفصيلات المحسوسة تتقاطع و تتشابك و تتداخل و تقدم نفسها في اللحظة الإنسانية ذاتها (ابراهيم، 2010، صفحة 55).

2.4 الاتجاهات الأساسية في بناء الموضوع الاجتماعي

بما ان الموضوع في العلم الاجتماعي يبنى فلا بد ان تتعدد مشاريع البناء حسب المدارس و الاتجاهات و التيارات الفكرية الأساسية ،و كل مشروع منها يقع داخل وحدة الموضوع:

هناك اربع اتجاهات أساسية لبناء الموضوع المجتمعي :

النموذج الأول تحكمه التصورات الأساسية المتعلقة بالموضوع المجتمعي و تطهر لنا الموضوعانية (Objectivisme)،و الذاتية (Subjectivisme)،و البنيوية(Structuralisme)،و السوسيومترية(Sociométrique)

و تحكم النموذج الثاني متطلبات الفهم و التفسير التي تفرض بناء الموضوع المجتمعي على مستويات متمايزة و بالتالي تكون المستويات (Niveau) في بناء الموضوع المجتمعي هي المعيار في تصنيف الاتجاهات الفكرية و مع هذا المعيار نجد الماكرو سوسيولوجيا (Macrosociologie)والميكرو سوسيولوجيا ((Microsociologie

يحكم النموذج الثالث المضمون (Le contenu) في الموضوع المجتمعي و مع هذا المعيار يظهر الانخراط المجتمعي (L'integration)،و السيطرة (La domination)،و التفاعل(L'interaction)

و تحكم النموذج الرابع بناء الموضوع المجتمعي في سياق مادي تاريخي و بالارتكاز الى هذا المعيار تكون الأيديولوجيا و المصالح المجتمعية هي المعيار في تصنيف الاتجاهات الفكرية و ابرز ممثلي هذا الاتجاه الماركسية و ما بعد الحداثة (ابراهيم، 2010، صفحة 65) ،ان ما دفع بتعدد الاتجاهات النظرية في بناء الموضوع المجتمعي هو بالأساس طبيعة الموضوع ذاته أي الواقع الإنساني المتسم بالتداخل و التعقيد كما أشار الى ذلك جون ديوي بقوله 'فمصدر واضح من مصادر هذه الصعاب هو ان مادة البحث الاجتماعي لها من (تركيب)عناصرها و من تداخل تلك العناصر بعضها في بعض تداخلا معقدا" (ديوي، 2010، صفحة 742) و يعد هذا التداخل و التعقيد احد الأسباب الكامنة وراء تخلف العلم الاجتماعي عن اللحاق بركب العلم الطبيعي حيث انه "إذا ما أخدنا النموذج التنظيري للعلم الطبيعي كمثال لمعايرة العلم الاجتماعي و تقويمه ،فسيسفر

الأمر حقا عن مدى تأخر العلم الاجتماعي ،و مع ذلك فهذا الإستنتاج قد تاهت منه نقطة مهمة و هي ان الموضوع ذاته أي الواقع الأنساني مسألة بالغة التعقيد" (السوتاري، 2015، صفحة 33)

3.4 النموذج المفاهيمي و بناء الموضوع العلم الاجتماعي

حتى يحكم الباحث قبضته على الوقائع يتحتم عليه إعادة بناء الواقع الاجتماعي منطلقا من جملة من المفاهيم و الفروض و ما بينهما من علاقات تنتظم في شكل نموذج مفاهيمي ، هذا البناء يتم على مستويين :

–المستوى النظري : اين تتحدد المفاهيم و تبنى القضايا

–المستوى الأبستيمولوجي (المعرفي) اين يجري بناء الموضوع العلمي عن طريق بناء إشكالية البحث

1.3.4 النموذج المفاهيمي و بناء موضوع العلم الاجتماعي على المستوى النظري

النظرية هي بناء منطقي ينتظم في إطاره بشكل تجريدي التعميمات المتعلقة بطبيعة الظاهرات التي يدرسها هذا العلم ،و الافتراضات المتعلقة بالمنهج المستخدم في جمع الوقائع و تجسيد هذه الظاهرات بشكل يسمح باشتقاق تعميمات استنباطية (السوتاري، 2015، صفحة 14).

يعرف كيرلجر(kerlinger ,1986) (الضامن، 2006، الصفحات 40–39) النظرية "على انها مجموعة من المفاهيم يوجد بينها علاقة ،تفرض بطريقة منظمة لدراسة الظاهرة من خلال تحديد العلاقة بين المتغيرات بهدف التوضيح و التنبؤ بالظاهرة المدروسة" و احدى اهم وظائفها هي تزويد البحث بالنموذج المفاهيمي (Concepte Model) اذ ان النظرية تزودنا بإطار مفاهيمي حول الظاهرة المدروسة (الضامن، 2006، صفحة 39) .

"فلا بد ان تعبر النظرية في علم الاجتماع عن مضمون ،يعبر عن مكونات الواقع و معطياته و ما بينهما من علاقات و تبدلها .و بهذا المعنى يصبح الواقع أساسا للبناء النظري ،كما يبقى القاعدة للتحقق من صحة النظرية " (عثمان، 2007، صفحة 191)

تتمثل المهمة الأساسية للنظرية الاجتماعية في بناء أدوات تحليلية (المفاهيم،القضايا التفسيرية ،و الموجهات التأويلية...)قابلة للتطبيق تطبيقا مباشرة على دراسة المشكلات الأمبريقية (مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، 2002، صفحة 28)(50) و النموذج المفاهيمي يعتبر الأداة التحليلية الأساسية التي تستند اليها النظرية في مقاربتها للواقع الاجتماعي .

حسب كينلوش (جونز، صفحة 13) يمثل النموذج(paradigm)الذي تستند اليه النظرية أول أسس بناء النظرية ،هذا النموذج القياسي الذي يشتمل على الصياغة التصورية المرتبطة بالظواهر التي تقوم النظرية بتفسيرها" ...

يعتبر النموذج أداة أساسية لصياغة النظرية ، وهو بذلك يختلف عن النظرية في جانبين أساسيين :

1- النموذج لا يتضمن قضايا معرفية تقيم الرابطة بين المفاهيم و المتغيرات ، إنما ما يتضمنه فقط هذا الجانب عبارات ، تربط بين المفاهيم و المتغيرات.

2- النموذج لا يتضمن التعقيدات الواردة في البناء النظري كما أن وظيفته تنتهي بمجرد أن يحقق غرضه ، وهو بناء النظرية (شتا، 1993، صفحة 109).

إن النماذج تساعد الباحث بالتقدم بالعناصر الأساسية للنظرية نحو التحقق الإمبريقي (شتا، 1993، صفحة 160)وإقامة البرهان العلمي على مدى صحة صياغة النظرية،لكن هذا التنظير ليس مجرد تنظير مجاني (Speculation) او صياغة وهمية (Formalisation) منفصلة عن ارض الواقع ،بل هو تنظير يقوم على منطق نظامي (systemique) يجمع بين التجريد و الواقع ،و يتناول مادة البحث في معطياتها و مفترضاتها، دون ان يعني ذلك تكديس المعلومات أو تجميعها (Accumulation) دون رابط منطقي نظري يرفعها الى مستوى ما من مستويات المعرفة (جبور، الإشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، صفحة 12) لكن تبقى دون مستوى النظرية للاعتبارات التالية :

1- لا يتضمن النموذج قضايا معرفية تقيم الرابطة المنطقية بين المفاهيم أو المتغيرات ببعضها على نحو ما هو حادث بالنسبة للنظرية.

2- إن النماذج تتضمن فقط عبارات بسيطة ترتبط المفاهيم أو المتغيرات ببعضها.

3- إن النموذج لا يتضمن التعقيدات إلى تتضمنها البناء النظري للنظرية.

إن النموذج مجرد أداة لصياغة النظرية وبنائها ولدلك تنتهي وظيفته بمجرد الانتهاء من صياغة النظرية (شتا، 1993، صفحة 110)

فما النظريات إلا بناءات للمنهجية العلمية التي تعتمد في البداية على النماذج كمبادئ قاعدية لهذا البناء (آلان و برنارد، 2004، صفحة 160)

2.3.4 النموذج المفاهيمي و بناء موضوع العلم الاجتماعي على المستوى الأبستيمولوجي

يتم في هذا المستوى بناء موضوع العلم الاجتماعي من منطلق بناء إشكالية البحث .التي تنقل الباحث من المعطى الى المبني ،و لا يتم هذا البناء إلا ببناء النموذج المفاهيمي الذي يوضح المعادلة البحثية من خلال السؤال الإشكالي الذي يمكن الباحث من القفز خلف المظاهر السطحية للواقع الاجتماعي و هذا عن طريق كشف الحضور الكلي في كل جزء من أجزاء النموذج المفاهيمي و ذلك عن طريق تحديد و بناء هدف البحث تبعا لإشكالية نظرية "مهما كان هدف البحث جزئيا و مجزأ فإنه لا يمكن ان يكون محددا و مبنيا إلا تبعا لإشكالية نظرية تسمح بأن تخضع لتساؤل منهجي مظاهر الواقع التي يربطها بالتساؤل الذي يطرح عليها" (غراوتز، 1993، صفحة 51)هذا التساؤل المنهجي يربط على نحو عملاني نقاط الارتكاز و مجالات العمل التي ستعتمد في النهاية لتوجيه عمل المعاينة و التحليل .و هو يتألف من المفاهيم و الفرضيات المترابطة فيما بينها ارتباطا وثيقا لتشكل معا اطارا لتحليل متماسك ". (كيفي و كمبنهود، 1997، صفحة 183).

و سيتعلق كل شيء بهذا التساؤل المنهجي الذي يشكل هدف البحث و ينبني الموضوع عبره (غراوتز، 1993، صفحة 52) من ناحية أخرى يعبر هذا التساؤل المنهجي "عن تحد مخيالي في مواجهة الوقائع و الصور الساذجة " (جاهل، 2009، صفحة 99) هذا التحد المخيالي هو من سيمكن الباحث من الوصول الى المادة البحثية عندها يبدأ بناء الموضوع العلمي الأجتماعي "ان بناء الموضوع العلمي الاجتماعي هو ان نخمن ،خلف المظاهر ...و ان نطرح الأسئلة الملائمة " (غراوتز، 1993، صفحة 52) .

إن السؤال البحثي وظيفته الأساسية كشف المظاهر الخفية للظواهر الاجتماعية حيث "إن العمل العلمي يمر عبر وضع ما هو بديهي موضع استشكال فأن تكون عالم اجتماع يعني من جهة ما تملك من جرأة على إثارة أسئلة غير مناسبة مع المعتاد و ابراز ما يدور خلف المسرح للعيان و الإمساك بخيوط الحياة الاجتماعية أي باختصار كشف حقيقة الظواهر الاجتماعية المخفية " (بوغام، 2012، صفحة 24)

فكشف الظواهر الاجتماعية المخفية هو هدف ما يعبر منهجيا بالسؤال الإشكالي الذي سيكون اللبنة الأولى في بناء موضع العلم الاجتماعي الذي يبدأ "بالنظر الى المعلومات المجمعة عن موضوع البحث كواقعة ،يتناولها الباحث لاحقا ،و يجعل منها مادة حية ،متفاعلة ذاتيا و يكشف روابطها ،و علاقاتها الداخلية و الخارجية ،ليقيم منها كيانا حيا موحدا ،يشكل نظرية بحثية ،قائمة على اساس منطقي متمثل في معادلة بحثية ،تطرح اشكالية واجب الاجابة عليها ،عبر اطار هيكلي بنائي ،يمثل تصميم بحث منسجم ،ذات فعالية ،تؤكد قيمة البحث العلمية (جبور، الإشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، صفحة 132).

فالسؤال الإشكالي لا يرتقي الى مستوى التساؤل النهائي للبحث إلا بعد إدراجه ضمن تصور نظري (آلان و برنارد، 2004، صفحة 144) يجسده النموذج المفاهيمي

فإذا كانت المشكلة " موقف غامض لا نجد له تفسيرا محددا" (الدعيلج، 2010، صفحة 53) فتتلخص مهمة الباحث في تبديد هذا الغموض بتجاوز الوقائع الجزئية وصولا الى المادة البحثية و بصياغة السؤال الملائم لمشكلة البحث يبدأ العلم "ان العلم لا يبدأ بوقائع و فرضيات ،بل بمشكلة نوعية " (غراوتز، 1993، صفحة 52) اطلاقا من هذه المشكلة النوعية تعمل الاشكالية على تأطيرها ببناء مفاهيمي يعطي البحث صفته العلمية, فالإشكالية هي الانتقال من المعطى اي مشكلة البحث (الاجتماعي) الى المبني (العلم الاجتماعي) على اساس مفاهيم عن طريق ما يعرف بالمسلك التجريدي الذي يوصل الباحث الى المادة البحثية بتجريد الواقع من مختلف الجزئيات غير الضرورية و غير المتكررة و غير الجوهرية عند هذا الحد يكون الباحث قد وصل الى المفهوم الذي سيمكنه حسب فريد جبور من توجيه فكر الباحث و تحويله الى النواة المركزية (Point centrale) في البحث و اطارها المحيطي ،(اي وحدتي المعادلة البحثية)،و ذلك بغية كشف الأساس المنطقي

الخاص (logique Propre)بموضوع البحث ،ضمن النطاق المطروح فيه ،لإعطائه كيان هيكلي محدد، من وجهة نظر الباحث استنادا الى معادلة فكرية بحثية محددة ،و اشكالية متخصصة (جبور، الإشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، صفحة 133).

1.2.3.4 بناء النموذج المفاهيمي عن طريق تفكيك و إعادة بناء المفهوم

بناء المفهوم هو بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي .و لهذه الغاية فإنها لا تتناول كافة الجوانب في الواقع المعني ،بل تتناول فقط ما يعبر عنه انه جوهري في هذا الواقع من وجهة نظر الباحث يتعلق الأمر إذن بعملية مزدوجة قوامها بناء و انتقاء (كيفي و كمبنهود، 1997، صفحة 149)

ان مراحل بناء المفهوم تتم حسب لازارسفلد (غراوتز، 1993، الصفحات 59-57)عبر أربعة مراحل :

1-الأدراك الحدسي للمفهوم: التمثيل الموضح بالرسم للمفهوم

2-اكتشاف مكونات المفهوم وعناصره ومظاهره(الأبعاد)

3-إيجاد أدلة الأبعاد. فالدليل معطى قابل للملاحظة يتيح ضبط الابعاد

تكون الأدلة غنية بالدلالة فيما يخص موضوع البحث

4-مرحلة تكوين القرائن، و المقصود بذلك عملية تركيب للمعطيات المتوصل إليها في المراحل السابقة ان القرينة تعتبر عن تنسيق لعدة أدلة.

فالنموذج المفاهيمي الوسيلة النظرية الأكثر ملائمة بالنسبة للبحث عن المعطيات القابلة للملاحظة او ما يعرف بالمؤشرات أو الأدلة وكيفية استعمالها.

ان بناء النموذج المفاهيمي يوفر وسيلة لترجمة المفاهيم و التصورات و المعاني الى إجراءات معينة تتيح إمكانية مواصلة البحث على وجه التحديد يمكن القول ان بناء المفهوم يتلخص في تحليله الى أبعاد و الأدلة تمثل معطيات قابلة للملاحظة ثم بعد ذلك نمضي الى تشكيل القرائن أو تنسيق الأدلة يتعلق الأمر هنا بإجراءات عملية التركيب للمعطيات التي تمت دراستها .و هكذا تتشكل حلقة

البحث انطلاقا من التصور(نظرية و مفاهيم) الى الإجراءات المنهجية (مناهج و أدوات مستخدمة)ثم المعطيات الميدانية (معطيات و نتائج)و يسير المسار البحثي في حلقة دائرية هذه الحلقة عبارة عن تتابع لفترات تأتي الواحدة بعد الأخرى و التي تعود الى نقطة البداية لتنطلق من جديد (انجرس، 2006، صفحة 81) عليه بناء النموذج المفاهيمي سيوفر للباحث جملة من التعريفات الإجرائية تشكل قواعد انتقال من مستوى تجريدي الى آخر أقل درجة في التجريد وصولا الى المفاهيم الإجرائية و أنه من خلال المفاهيم الإجرائية الخاصة بكل مفهوم يقلل الباحث من خطر التحدث عن اعتبارات مشاكل لا ترجمة امبريقية لها.

2.2.3.4 المعادلة البحثية تحدد خصائص النموذج المفاهيمي

إن أمكانية نفاذ الباحث الى لب المعادلة البحثية هو من سيشكل النواة الصلبة التي ستحدد خصائص النموذج الذي ينبغي أن ينمو و يتطور إنطلاقا مما تحتويه من مفاهيم التي ستوفر للباحث الإطار المفاهيمي لقيام مشكلة بحثية التي لا قيام لكيانها بدونه "لا يقوم كيان المشكلة دون توفر اطار مفهومي له ،يشكل الأداة الأساسية لقيامها على الصعيد النظري هذا الإطار المفهومي ،الذي يقوم على اساس منطقي ذات نطاق موضوعي ،ينطلق من واقع عناصر المشكلة ،و دائرة الموضوع المغلقة لطرح الاسئلة الإشكالية التي تؤدي الى اختيار السؤال الاشكالي و صياغته (جبور، الاشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، الصفحات 82-81) و من المعادلة البحثية تنبثق الإشكالية ،والتي تقتضي ان تقوم بوظيفة اساسية ،و هي تعيين المنطق الموجه للبحث ،و نهجه المنطقي ،و تأسيس التنظيم الفكري ،الذي يستند اليه الباحث ،لتحقيق البحث ،و إعطائه صيغته المنطقية التنظيمية الفعلية (جبور، الاشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، صفحة 169) ، و بذلك يشكل نموذج التحليل [المفاهيمي]الامتداد الطبيعي للإشكالية رابطا على نحو عملاني نقاط الارتكاز و مجالات العمل، التي ستعتمد في النهاية لتوجيه عمل المعاينة و التحليل (كيفي و كمبنهود، 1997، صفحة 183) فالإشكالية هي بناء من المفاهيم يدور حول مشكلة البحث لينقلها من المعطى الى المبني بما يسمح بفهم و تفسير الواقع الاجتماعي .فالإشكالية لا يمكن أن تبلغ الغاية فعلا إلا ببناء نموذج التحليل (حميد، 1995، صفحة 36)

هذا التصميم الهيكلي البنائي (النموذج المفاهمي)،هو" شكل من اشكال الذكاء البحثي ،الماثل في مراحل تكوينها ،بدءا من المعلومات المجمعة ،من هنا و هناك ،كوقائع معرفية من قبل الباحث ،لجعلها مادة معرفية حية" (جبور، الاشكالية في البحث في العلوم الانسانية، 2010، صفحة 134).و هذا الأمر يفلت من الوصفات و الإجراءات لكونه يكشف عن ذكاء الباحث و حدسه و خياله و قدرته التجريدية .

5.الخاتمة:

إن العلم الاجتماعي يوظف النموذج المفاهيمي كوسيلة نظرية و ابستيمولوجية لا غنى عنها للنفاذ الى البنى غير المنظورة للواقع الاجتماعي بغية تفسيره و محاولة فهمه و ذلك ببناء إطار تصوري حول الظاهرة قيد البحث عبر مجموعة متشابكة من الأنساق الإستنباطية وهذا يتطلب من الباحث الاجتماعي جهدا خلاقا و خيالا يتجاوز المظاهر السطحية للظواهر الاجتماعية.

6.قائمة المراجع:

- ابراهيم بن عبد العزيز الدعيلج. (2010). *مناهج و طرق البحث* (الإصدار ط1). دار صفاء للنشر و التوزيع.
- ابراهيم عيسى عثمان. (2007). *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع*. عمان: دار الشروق.
- الزغبي محمد احمد. (1983). المنهج العلمي في البحث السوسيولوجي في ضوء المعرفة العامة للمعرفة العلمية. *دراسات عربية*(العدد3)، الصفحات 86-103.
- برتي السوتاري. (2015). *النظرية الاجتماعية و الواقع الانساني* (الإصدار ط1). (علي الفرغلي، المترجمون) المركز القومي للترجمة.
- بيير بورديو. (2007). *الرمز و السلطة* (الإصدار ط3). (عبد السلام بنعبد العالي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال.
- جون ديوي. (2010). *المنطق و نظرية البحث*. مصر: المركز القومي للترجمة.
- خروف حميد. (1995). المراحل الزمنية لاعداد الإشكالية. *مجلة العلوم الانسانية،العدد6*،الجزائر :جامعة الاخوة منتوري قسنطينة، ص.ص 31-37.

- رشيد الحاج صالح. (2007). المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية و البنية المنطقية. *عالم الفكر* (المجلد36)، صفحة 46.
- ريمون كيفي، و لوك فان كمبنهود. (1997). *دليل الباحث في العلوم الاجتماعية* (الإصدار ط1). (يوسف الجباعي، المترجمون) بيروت: المكتبة العصرية.
- سيد علي شتا. (1993). *نظرية علم الاجتماع*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- سيرج بوغام. (2012). *ممارسة علم الاجتماع* (الإصدار ط1). (منير السعداوي، المترجمون) لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- شاقافرانكفورت ناشيماز، و دافيد ناشيماز. (2004). *طرائق البحث في العلوم الاجتماعية* (الإصدار ط1). (ليلى الطويل، المترجمون) دمشق.
- عبد الله ابراهيم. (2010). *علم الاجتماع* (الإصدار ط3). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- علي ليلة. (دون تاريخ). *بناء النظرية الاجتماعية*. المكتبة المصرية.
- فريد جبور. (2010). *الاشكالية في البحث في العلوم الانسانية* (المجلد ج1). طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- فريد جبور. (2010). *الإشكالية في البحث في العلوم الانسانية* (الإصدار ط1، المجلد ج2). طرابلس، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- فليب جونز. (بلا تاريخ). *النظرية الاجتماعية و الممارسة البحثية* (الإصدار ط1). (محمد ياسر خواجة، المترجمون) مصر العربية للنشر و التوزيع.
- لارامي آلان، و فالي برنارد. (2004). *البحث في الاتصال*. (فضيل دليو و آخرون، المترجمون) قسنطينة: مخبر علم الاتصال للبحث و الترجمة.
- مادلين غراوتز. (1993). *مناهج العلوم الاجتماعية*. (سام عمار، المترجمون) دمشق: المركز العربي للتعريب.
- محمد علي محمد. (1982). *علم الاجتماع و المنهج العلمي* (الإصدار ط3). (المركز القومي للترجمة، المترجمون) الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- مدحت ابو النصر. (2004). *قواعد و مراحل البحث العلمي* (الإصدار ط1). القاهرة: مجموعة النيل العربية.
- مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية. (2002). *قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع*. (مصطفى خلف عبد الجواد، المترجمون) القاهرة.
- منذر الضامن. (2006). *أساسيات البحث العلمي*. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع.
- موريس انجرس. (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية* (الإصدار ط2). (بوزيد صحراوي و آخرون، المترجمون) الجزائر: دار القصبة.
- نظير جاهل. (2009). *تسديد المنهج*. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.